

فرانسييس كومب.. شجرة الكستناء المسافرة

لكي تكون شاعرا تحتاج إلى قلم رصاص ودفتر وإلى المشي كثيرا



الشعر حالة سفر مستمرة هذا ما تؤكد قصائد الشاعر الفرنسي فرانسييس كومب الذي أصدر مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية، ويكتب منذ التسعينات "قصائد سفر"، وهو مفهوم للشعر مأخوذ من فكرة "قصائد الريبورتاج" التي كتبها ناظم حكمت. وهي على شكل "ريبورتاج شعري" يصف مكانا أو بلدا في العالم، ولكنه لا ينطلق فيها من تأملات عاطفية بقدر انطلاقته من الفكرة. وفيما يلي حوار للشاعر مع مجلة "الجديد".

هياسانت شابير

ولد فرانسييس كومب عام 1953، وهو شاعر ومترجم وناشر. تخرج في معهد العلوم السياسية بباريس، ودرس اللغات الشرقية (الروسية والصينية والمجرية)، ترجم فلاديمير ماياكوفسكي ("اسمعوا، إن أضنا النجوم"، 2005)، أتيل جوزيف ("متسول الجمال"، 2014) وهنري هاين ("طبل الحرية"، 1997)، التي صدرت جميعها عن منشورات "زمن الكرز"، وهي دار نشر تشاركية أسسها كومب سنة 1993 وأدارها حتى 2020.

تتكون أعماله الشعرية من أكثر من عشرين ديوانا، وقد تُرجمت إلى لغات عدة وتم الترجيح بها في جميع أنحاء العالم.

النشر والشعر والعرب

■ **الجديد:** في عام 2020، أسست منشورات "Manifeste" -وهي تعني "البيان" بالعربية- التي أصدرت على الفور ثلاثة عناوين. هل يمكن أن تحدثنا عن السياق الذي ولدت فيه هذه الدار الجديدة؟

● **فرانسييس كومب:** أسست "Le Temps des Cerises" بالعربية - في العام 1993 مع رفيقة دربي باتريسيا لانور وحوالي ثلاثين كاتباً صديقاً، بما في ذلك الشاعر أوجين جيليفيك، والروائي البرازيلي خورخي أمادو والكاتب الفرنسي جيل بيروت. قبل عامين، أعلنت عزمي على تسليم المشعل. كنت أرغب في نقل المسؤولية إلى كتاب شباب تقدميين أعرفهم وأحب صفاتهم الأدبية. عارض زملائي ذلك وارادوا فرض خبير اقتصادي. تسبب ذلك في أزمة داخل دار النشر، مع مغادرتي ورحيل العديد من المؤلفين.

تشرت "البيان" واتسم إلى حوالى أربعين مؤلفاً، واعتنى بها الشاعر الشاب فيتكتور بلان، وهم يعززون الآن أن يتابعوا طريقتهم الخاصة روح ما كان "Le Temps des Cerises"، أي دار نشر مستقلة يديرها المؤلفون أنفسهم، دار أدبية، سياسية وشعرية.

هناك خوف غير معقول

ولكنه مستمر بشكل منهجي من الخطر الذي قد يمثله الآخر، الأجنبي، الفقير، واللاجئ

العناوين الأولى التي صدرت هي كتاب أوليفيه بيسانسينو ومايكل لوي بمناسبة الذكرى 150 لجمهورية باريس. مجموعتان شعريتان: "مسودة وطن" لشاعر الثورة التونسية محمد الصغير أولاد أحمد و"ربيع محاصر" للشاعر التركي أتاول بهرام أوغلو وكتاب رائع للمؤرخ آلان روسيو عن القصاص العادية وغير العادية لثلاثمائة عام من الاستعمار.

■ **الجديد:** أنت واحد من الناشرين القلائل الذين ينشرون باستمرار لشعراء عرب غير معروفين أو معترف بهم بالضرورة من قبل أهل الميدان في فرنسا. كيف تختار مؤلفيك؟ كيف تعمل كناشر؟

● **فرانسييس كومب:** لم أكن أبدا ناشرا متخصصا في العالم العربي، وقد نشرت أيضا لكتاب فرنسيين

وروس وصينيين وأميركيين وأميركيين لاتينيين. الشعر ليست له حدود، لكني أعتقد أن هناك عملا حقيقيا يتعين القيام به لتعريف القراء الفرنسيين بالكتاب الذين يكتبون بالعربية. (هناك دائما اتجاه في فرنسا، في الوسط الأدبي الصغير، للاعتراف أولا بأولئك الذين يكتبون بالفرنسية ويترددون على الحي اللاتيني).

من بين الكتاب الذين نهتم بهم، هناك كتاب يتميزون بجودة كتاباتهم ولكن أيضا بالتزامهم الاجتماعي والديمقراطي. وهذا يمكن أن يعطي العالم العربي صورة مختلفة عن تلك التي عادة ما تكون سائدة في أوروبا. وهكذا تمكنت في الفترة الأخيرة من نشر مختارات كبيرة لشاعرات من العالم العربي أعدتها وترجمتها الشاعرة السورية مرام المصري. وقد حقق هذا الكتاب نجاحا مستحقا.

النيران المضادة

■ **الجديد:** أنت يساري ضارب في اليسارية. ماذا يعني ذلك وما هو أفق اليسار في فرنسا ونحن نحتفل بالذكرى الأربعين لوصول فرانسوا ميتران إلى السلطة والذكرى المئة والخمسين لجمهورية باريس؟

● **فرانسييس كومب:** أنا شيوعي منذ أن كنت في الرابعة عشرة من عمري. سأذا يعني ذلك؟ الفكرة الشيوعية هي الفكرة الديمقراطية الراديكالية: سلطة الشعب، من قبل الشعب ومن أجل الشعب. هو برنامج لم يتحقق بعد في أي مكان. الوضع الحالي للييسار في فرنسا اليوم يزعزعي ويقلقني كثيرا.

اليسار منقسم وضعيف أيديولوجيا. إنها عواقب خياناته وإنكاره. هذا يترك المجال مفتوحا أمام زخم الأفكار اليمينية واليمينية المتطرفة، والتي يمكن تلخيصها على النحو التالي: خوف غير معقول إلى حد كبير، ولكنه مستمر بشكل منهجي من الخطر الذي قد يمثله الآخر،

الأجنبي، الفقير، اللاجئ. إنها النيران العاكسة التي أشعلتها الطبقة الحاكمة لمواجهة تفتح وعي النضالات الشعبية (من السقراط الصقراء إلى الدفاع عن المستشفى العام أثناء الوباء).

وهذه النيران المضادة تجعل فرنسا وديمقراطيتها وثقافتها تتعرض إلى خطر لم يعد خياليا، هو خطر حقيقي. حسب رأيي، سيكون من الملح التغلب على المنطق الحزبي الصغير من أجل الانخراط في بناء ما يمكن أن أسميه "جبهة الشعب". في الوقت نفسه، يجب أن نعيد الاتصال بالأممية. لا يمكن أن يولد الوعي الطبقي التقدمي اليوم إلا من الشعور باننا جميعا ننتمي إلى ما أسميه "الشعب - العالم"، هؤلاء الأشخاص المتعدون الذين يقع في أيديهم مصير الكوكب. وهذا أمر عاجل.

لغة الإمبراطورية

■ **الجديد:** تنشر عمودا أسبوعيا في صحيفة "L'Humanité" ("الإنسانية") التي أسسها جان جوريس عام 1904، والتي تعتبر جهازا صحافيا رسميا للحزب الشيوعي الفرنسي. هل يمكنك أن تصف لنا فلسفة هذا العمود؟

● **فرانسييس كومب:** دخلت اللغة الفرنسية فترة من الاضطراب. على المستوى العالمي، الفرنكوفونية تتقدم. ولكن من المفارقات أنها مهددة في فرنسا نفسها، ولاسيما من قبل الهوس الإنجليزي السريع "للنخب" وعالم التجارة والإعلان والسياسة ووسائل الإعلام وحتى الثقافة في الكثير من الأحيان.

إنه تكبر جماعي ينبع من الاغتراب عن الذات: التحول بقوة إلى لغة "الإمبراطورية". فرنسا، التي كانت ولا تزال دولة استعمارية إلى حد كبير، هي أيضا دولة مُستعمرة. لكن اللغة الفرنسية لم تمت بعد.

في العمود الذي أكتبه مع باتريسيا، نُصِر على حقيقة أن الفرنسية تعيش وأنها غنية في تنوعها، ولاسيما بفضل

مساهمة كل من يحب هذه اللغة ويعيدها إلى الحياة خارج فرنسا. كذلك، يمكن قول الكثير عن مساهمة اللغة العربية في الفرنسية. هذا لا يعني أن الفرنسية تتفوق على اللغات الأخرى. لكن الدفاع عنها جزء من النضال من أجل عولمة تحترم تعددية الثقافات. نحن مع وحدة العالم في التنوع.

دفتر وقلم رصاص

■ **الجديد:** أنت شاعر ومترجم شعر. هل يمكنك أن تصف لنا طريقة عملك؟

● **فرانسييس كومب:** لقد نشرْتُ حوالي ثلاثين كتابا ويحتل الشعر جزءا أساسيا من أفكاري. لذلك ليس لدي أي حجل أو تواضع كاذب في تسمية نفسي شاعرا، خاصة كما أعتقد أن الشعر، الذي يظهر حاجة الإنسان غير القابلة للاختزال للجمال والحرية، يستحق الدفاع عنه.

الخيال الشعري له منفعة عامة. ليس منديلا متسخا تخفيه في جيبي، إنه علمٌ يمكننا رفعه. من ناحية أخرى، لن أصف نفسي بالمترجم المحترف. أنا أترجم فقط الشعراء الذين أحبهم، والذين هم ضروريون بالنسبة إلي والذين أتاحت لي الفرصة للتواصل مع لغتهم، سواء أكانوا بيرتول بريشت أم فلاديمير ماياكوفسكي أم أتيل جوزيف. في هذه الحالة الترجمة تعني دخول مخبر الشاعر.

كيف أعمل؟ لا أعرف. بين مجموعتين وحتى بين قصيدتين، أشعر دائما أن الشعر يهزني. حتى أتيني فكرة تفرص قصيدة جديدة. بالنسبة إلي، تولد القصيدة من فكرة.

أعلم أنه بالنسبة إلى الآخرين، يحدث الأمر بشكل مختلف. بالنسبة إلى العديد من الشعراء، الأسيقية للغنائية. بالنسبة إلي، غالبا ما تأتي بعد ذلك. إنها جزء من المهنة أو الخبرة.

الصورة المتغيرة

■ **الجديد:** ترجمك إلى العربية الكاتب الجزائري الطاهر بطار (المتوفى سنة 2001)، ما هي علاقتك بالعالم العربي، خاصة مع المثقفين الشيوعيين والتقدميين؟

كل شاعر يركض وراء القصيدة التي تضيء كل شيء

للمظهر مرة أخرى حول العالم الحقيقي والعمل والتاريخ. في الشعر على وجه الخصوص، الأشياء تتغير. بعد فترة طويلة اتسمت بالتفكك اللغوي، يبدو أن جيل الشباب يعيد الاتصال بشعر ما، رغم كونه جريئا وتجريبيا في بعض الأحيان من وجهة نظر اللغة، لديه حقا ما يقوله عن العالم الحقيقي الذي نعيش فيه. شعر شفاهي ولكن مكتوب جيدا، غالبا ما يكون ساخرا ولكنه أيضا غنائي وعاطفي ورومانسي بطريقة ما.

شجرة كستناء

■ **الجديد:** إذا كان عليك أن تبدأ من جديد، فما هي الخيارات التي ستختارها؟ إذا كان عليك أن تجسد في كلمة، في شجرة، في حيوان، فماذا ستكون في كل مرة؟ أخيرا، إذا كان لا بد من ترجمة واحدة من قصائدك إلى لغات أخرى، العربية مثلا، فأي واحدة ستختار ولماذا؟

● **فرانسييس كومب:** سأفعل الشيء نفسه مرة أخرى في محاولة لتجنب بعض الأخطاء. (في الكثير من الأحيان، أدى ميلي إلى الثقة إلى خداعي وتعرضني إلى حيل قذرة، لكنني لا أعتقد أنني شاعر بالريبة من الجنس البشري أو ساكره البشر تجسد جيدا؛ هذا ليس جزء من خطي المباشرة. بخصوص الشجرة، كنت أرى نفسي شجرة كستناء، شجرة موطن السيفين، أو شجرة الكرز، لأنني كنت واحدة كذلك منذ سنوات. لكن الأشجار لا تنمو. هذا هو أكبر عيب لها!

سوان؛ عصفور بلا شك. طائر شحور، لأنه يمتلك أجنحة ويمكنه الغناء. كما انشأت أيضا جمعية للشعراء والموسيقيين تحمل اسم "الشحور الساخر"، وهي إشارة إلى أغنية جان باتيست كليمان "زمن الكرز"، والتي تشارك في مغامرة إصدارات منشورات "البيان". تحت رعايتهما نشر أولاد أحمد للتو باللغة الفرنسية بفضل الترجمة الجميلة للشاعر التونسي الناطق بالفرنسية أيمن حسن، مع مقدمة لادونيس وخاتمة لمصنف المرغني.

لكن بشكل عام، أفضل التناسخ في دور فرانسييس كومب. قال رامبو إن كل رجل يستحق عدة أرواح. وهذا على وجه التحديد لأننا ممنوعون من ذلك، فنكتب القصائد.

أما بالنسبة إلى القصيدة التي يجب أن تُترجم، فهي تلك التي لم أكتبها بعد. كل شاعر يركض وراء القصيدة التي تضيء كل شيء، القصيدة التي يقول فيها الكلمة الأخيرة. لكن لن يحدث ذلك غدا!

* ترجم الحوار والقصائد: أيمن حسن

